عن المناورات المشتركة في تركيا

■ حميدي العبدالله

تجري مناورات عسكرية في تركيا تشارك فيها إلى جانب القوات التركية وقوات من الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية ودول المنطقة، قوات سعودية، وقد وصلت إلى تركيا قوات برية سعودية للمشاركة في هذه المناورة.

أضفت مشاركة السعودية في هذه المناورات في هذا التوقيت بالذات بعداً خاصاً لهذه المناورات دفع بالكثيرين للتساؤل عن أهدافها، لا سيما أنها تحدث إلى جانب مناورات مثيلة تجري دورياً في الأردن وتحمل اسم «الأسد المتأهب».

إذا ما أخذنا بعين الاعتبار غياب أيّ تهديد عسكري هجومي للدول المشاركة في هذه المناورات من قبل أيّ دولة من دول المنطقة، يمكن القول إنّ هذه المناورات، إضافة إلى التدريب على كيفية استخدام الأسلحة والتوليف بين جيوش تعتبر دولها حليفة لبعضها البعض، فإنها ربما تكون استعداداً عسكرياً لحدث ما.

ما هو هذا الحدث العسكري؟ درجت العادة عند الحديث عن الخطة (ب) التي تحدّث عنها المسؤولون الأميركيون أكثر من مرة، أحياناً صراحة عبر تصريحات شخصيات بارزة في الإدارة الأميركية، مثل وزير الخارجية الأميركي جون كيري، وأحياناً أخرى عن طريق تسريب معلومات إلى وسائل الإعلام عن هذه الخطة التي تتمحور حول تسليح المعارضة، وزيادة وجود الوحدات الخاصة الأميركية، ورفع مستوى التنسيق والتعاون مع الجماعات المسلحة، إلا انه من الواضح أنّ هذه العناصر لا تمثل مضمون الخطة (ب). فالولايات المتحدة وحلفاؤها لم يتوقفوا لحظة واحدة عن تقديم السلاح بكلّ أنواعه إلى الجماعات المسلحة، حتى في فترة «وقف العمليات»، كما أنّ الولايات المتحدة تعلن تباعاً عن زيادة قواتها الخاصة في سورية، وتعزيز التعاون والتنسيق بين الجماعات المسلحة، سواء بشكل مباشر عبر ضباط الاستخبارات الأميركية الذين يتواجدون في غرف العمليات في تركيا والأردن، أو من خلال الوحدات الخاصة التي باتت تتواجد في المنطقة الشرقية من سورية، وفي ريف حلب الشمالي، وتحديداً في عين العرب.

الأرجح أنّ الخطة (ب) هي غزو بري للمناطق الشرقية في سورية، وفي ريف حلب الشمالي والشرقي بذريعة محاربة تنظيم «داعش». وربما هدفت الولايات المتحدة من الهدنة الحصول على الوقت الكافي لتشكيل القوة البرية القادرة على ذلك، وبالتأكيد فإنّ هذه القوة البرية ليست من السوريين، بل من جيوش في المنطقة تابعة للدول التي شاركت بشكل غير مباشر في الحرب على سورية، وهذه الجيوش هي التي تجري المناورات الآن في تركيا والتي أجرت مناورات مماثلة في الأردن، والأرجح أنّ هدف هذه المناورات الاستعداد للقيام بعملية برية داخل الأراضي السورية بذريعة محاربة «داعش» لتعديل موازين القوى، وخلق وضع يصعب تجاهله في أيّ تسوية سياسية للأزمة السورية، بما يساعد على تقاسم السلطة بين المؤيدين للدولة وبين الجماعات المرتبطة بالدول التي سوف تقوم بغزو بعض المناطق السورية.

الغوطة

- **يواجه كلّ من يقول بأهمية العمل السياسي في توفير شروط الفوز بالحرب التي تخوضها سورية بالاتهام بكونه يأمل خيراً من أميركا أو من السعودية وتركيا، أو يميّز الجماعات المسلحة المتوحشة بعضها عن بعض.**
- **أن تكون هدنة شهر آذار سبباً للحشود اللازمة لتأمين انتصارات تدمر إنجاز عسكري للعمل السياسي.**
- **القضية هي هل أن تكون الجيوش أفضل الفرص لتحقيق النصر وهذه هي مهمة السياسة.**
- **القضية هي تقليص مدة كلّ معركة بتجزئة المعارك وتخفيف خسائر كلّ معركة بحشد أكبر قوة لازمة للفوز بها، وهذه مهمة الدبلوماسية.**
- **يردّد كثيرون جملة فشل فيينا ومصدرها الأعداء لأنّ فيينا فشل في البحث بمصير الرئيس السوري.**
- **ليس لدينا أوهام على حلّ سياسي بل على عمل سياسي، ولذلك فيينا نجح... فها هي الغوطة.**
- **«النصرة» تبدأ هجومها الوقائي لاستئصال كلّ جماعة الرياض لتنظيف سيطرتها وحسم مركزية قرارها خشية أن يقايض السعودي والتركي غداً على رأسها فتقطع رؤوس جماعتهم وهذه نتيجة ذكاء السياسة.**
- **يدخل الجيش السوري إلى الغوطة تحت نيرانهم وهم يقتلون بفضل فيينا كما دخل تدمر بفضل الهدنة.**

التعليق السياسي

الشباب إلى أين نتجه؟

■ عمر الفاكهاني

نعيش في حلقة مفرغة ندور حول أنفسنا، حالنا كحال عقارب الساعة في محورها الدائري لكن الفرق أنّ الوقت يتقدّم ونحن نرجع إلى الوراء. أتحدّث عن هؤلاء الشباب الذين هم عصب الحياة وأداة التغيير وفيهم الأمل بالمستقبل.

إلى أين نتجه؟ ما هو الطريق للخلاص؟ وهل نحن نؤدّي دورنا كما ينبغي؟ عشرات الأسئلة تدور في ذهني أبحث عن أجوبة لها، إلا أننا بسبب التخبّط الايديولوجي والموجات الغربية التي عصفت بنا، باتت أحلام الشباب وأمنياتهم بالوطن الجميل تتلاشى وتُستبدل بأدنى حقوق العيش وبأبسط المتطلبات.

لا أتحدث على فلسفة الماضي أو على خيال المستقبل، إنما أحاول أن أجد السبيل الذي يوصل للتحرّر من قيود الاستعمار وللتخلص من غبار الظلم والسواد النابع من فساد أغلب الحكام.

وإنني أتساءل عن شعور قادتنا العظام لو كانوا موجودين الآن، ماذا سيكون رد فعلهم؟ بالطبع لن يقفوا صامتين ولن ييأسوا، فما قاموا به في المرحلة الصعبة التي عاشوها هو دليل كاف على إصرارهم وإيمانهم بالتحرّر من كلّ القيود.

لا يأتي التغيير من خلال الرخاء بل بالسعي وراء الحاجة الملحة، وهذا ما جعلهم يقدّمون المصلحة العامة على مصالحهم الخاصة. إنّ العمل الذي قاموا به هو عمل جبار، فكيف لهؤلاء في وقت حصل فيه ما حصل من خيانات واتفاقيات ومؤامرات أن ينتفضوا ويثوروا ويقولوا لا!

إننا لنأسف مما يقوم به أغلب الحكام والقادة الحاليين، وهذا بسبب تخاذلنا وسلبيتنا تجاه أوطاننا، لذا فعلينا توعية الشباب وتعليمهم وتثقيفهم وتقوية ثقتهم بأنفسهم بعد أن خضّتها الحروب وزعزعتها المجازر. نحتاج إلى زخم من الطاقة مشحونة بمبادئ ثورية جديدة نستبدلها بتلك التي خطط لها الاستعمار، ونجح للأسف الشديد في تجسيدها في عقول الشباب العربي بشتى الوسائل الإعلامية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

خطّط الغرب ونفذ العرب، إنّ المشكلة الأكبر التي نواجهها اليوم، وإحدى أبرز العقبات فقدان الوعي والإدراك، بمعنى آخر لم يلحظ الشباب انّ المواد الإعلامية في وقتنا الحالي غرضها التسلية وتضييع الوقت، وأنّ الهدف من تلك البرامج السطحية هو هدف مادي بامتياز.

أيها الشباب راجعوا الأرشيف واسألوا عن الشعلة التي أشعلت الفتن والبلاد، من بدأ بها؟ وكيف نشرت؟ ومن تقبّلها؟

أيها الشباب نحن نؤمن بأنكم تستطيعون التغيير وأنتم تعرفون ذلك لكن لا تؤمنون، سيطر عليكم الإحباط وظننتم بأنفسكم عاجزين!

لا لستم كذلك، أنتم نعمة للوطن لأنكم الشريان النابض الذي يضخ الحيوية وينزل إلى الشارع ويطالب بوقف الفساد، قد تكون تجربتكم في هذا المجال بسيطة ولم تكتمل، ولكن الصبر مفتاح الفرج، فاصبروا وجاهدوا أنفسكم لكي تساعدكم على محاسبة الفاسدين.

وأخيراً وليس آخراً آمنوا كمن آمن وغيّر مجريات العالم وخطط للتاريخ الجديد، كونوا مثلهم بأفعالهم وحديثهم ومبادئهم ولا تكونوا عمياناً! لأنّ هناك فرقاً شاسعاً بين مساعدة الأعمى وبين المشي وراءه.

نكبة فلسطين: ماذا تبقّى في الذاكرة العربية؟

د. رفعت سيد أحمد

تمرّ هذه الأيام الذكرى الثامنة والستين لنكبة فلسطين، تلك النكبة التي لا تزال ماثلة في الضمير والعقل العربي، لا يزال الضحايا يدفعون الثمن، ولا يزال المحتلّ قائماً فوق الأرض بل ويتمدّد، ويزداد توحشاً عسكرياً وسياسياً في المنطقة والعالم.

وفي الذكرى الـ68 تعيش أغلب البلاد العربية حالة نسيان أو تناس واضحين لفلسطين، فلم تعد هي بالنسبة للجميع القضية المركزية، واحتلت نتائج زلزال ما سُمّي «الربيع العربي»، مكانها، وانشغل الجميع بمشاكله وحروبه الداخلية وحلت «داعش» التي نسمّيها (إسرائيل العربية) محلّ «إسرائيل» في العداء وحتمية المقاومة!

● دعونا في هذه الذكرى للنكبة نعيد البحث في أبجديات الصراع وأصوله، وفي ظني لن يتمّ ذلك دونما البحث في حقيقة ما جرى في حرب العام 1948، ولماذا حدثت النكبة رغم الجيوش العربية السبعة التي احتشدت؟ ولماذا لا تزال النكبة حاضرة في الواقع العربي بنتائجها وحقائقها؟

في البدء كان وعد بلفور

في البداية يحدّثنا التاريخ أنّ جذور حرب 1948 (النكبة) تقول سطورها إنها بدأت منذ العام 1917 عام وعد بلفور، ثم جاءت الحلقة الثانية عام 1920 – عندما وضعت بريطانيا فلسطين تحت الحكم العسكري في نهاية حزيران/ يونيو 1920، ثم حوّلتها إلى الحكم المدني، وعيّنت اليهودي الصهيوني هربرت صمويل أول «مندوب سام» لها على فلسطين «(1920 – 1925)»، حيث شرع في تنفيذ المشروع الصهيوني ميدانياً على الأرض، وتابع المندوبون «السامون» المسيرة نفسها، غير أنّ أكثرهم سوءاً ودهاء ونجاحاً في التنفيذ كان «آرثر واكهوب» «(1931 – 1938)»، حيث وصل المشروع الصهيوني في عهده إلى درجات خطيرة، ويذكر المؤرّخون أنّ فلسطين عاشت تحت الاحتلال البريطاني مؤامرة رهيبة، فحرم أهل فلسطين من بناء مؤسساتهم الدستورية وحكم أنفسهم، ووضعوا تحت الحكم البريطاني المباشر، وأعطى المندوبون السامون صلاحيات مطلقة.

وضيّقت بريطانيا على الفلسطينيين سبل العيش وكسب الرزق، وشجعت الفساد، وسعت لتعميق الانقسامات العائلية والطائفية وإشغال أبناء فلسطين ببعضهم، وفي المقابل شجعت الهجرة اليهودية، فزاد عدد اليهود من 55 ألفاً «8% من السكان» سنة 1918 إلى 650 ألفاً «31% من السكان» سنة 1948.

***

ورغم الجهود اليهودية البريطانية المضنية للحصول على الأرض، فإنّ اليهود لم يتمكّنوا من الحصول سوى على نحو 6.5% من فلسطين بحلول عام 1948 وكان معظمها إما أراضي حكومية أو أراضي باعها إقطاعيون غير فلسطينيين كانوا يقيمون في لبنان وسورية وغيرهما من البلاد العربية، وقد بنى اليهود على هذه الأراضي 291 مستوطنة.

وفي الوقت الذي كانت فيه السلطات البريطانية تسعى حثيثاً لنزع أسلحة الفلسطينيين، وتقتل أحياناً من يحوز سلاحاً نارياً، بل تسجن لسنوات من يملك رصاصات أو خنجراً أو سكيناً طويلاً، فإنها غضّت الطرف، بل شجّعت سراً تسليح اليهود لأنفسهم، وتشكيلهم قوات عسكرية وتدريبها، بلغ عددها مع اندلاع حرب 1948 أكثر من سبعين ألف مقاتل «64 ألف مقاتل من الهاغاناه، وخمسة آلاف من الأراغون، وألفين من الشتيرن... وغيرها»، وهو عدد يبلغ أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش العربية السبعة التي شاركت في حرب 1948.

***

المذابح والجولات الأولى

أما بالنسبة لتسلسل وقائع الحرب ومقدّماتها فيحدّثنا التاريخ الذي يجب أن يُلمّ به الجميع اليوم في ظلّ هذا «الربيع العربي» الكاذب الذي أنسانا فلسطين، يحدّثنا فيقول بأنّ الهزيمة عام 1948 تمّت على النحو التالي:

1 - صدور قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين يوم 29/11/1947 حين وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على القرار رقم 181 الذي يوصي بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة فلسطينية، ولقد رحب الصهاينة بمشروع التقسيم، بينما شعر العرب والفلسطينيون بالإجحاف.

2 – تصاعدت حدة القتال بعد قرار التقسيم، وفي بداية عام 1948 تمّ تشكيل جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي، وبحلول كانون الثاني/ يناير 1948 كانت منظمتا الأراغون وشتيرن قد لجأتا إلى استخدام السيارات المفخخة «4 كانون الثاني/ يناير تفجير مركز الحكومة في يافا، مما أسفر عن مقتل 26 مدنياً فلسطينياً»، وفي آذار/ مارس 1948 قام المقاتلون الفلسطينيون غير النظاميين بنسف مقرّ الوكالة اليهودية في القدس، مما أدّى إلى مقتل 11 يهودياً وجرح 86.

3 – استشهاد عبد القادر الحسيني في القسطل يوم 8/4/1948.

4 – مذبحة دير ياسين يوم 9/4/1948، التي قتل فيها 253 فلسطينياً وهجر الباقون مع تدمير البيوت والحقول، الأمر الذي أصاب العديد من المدن والقرى بالرعب فسقطت تباعاً «طبريا وحيفا يوم 19/4/1948، بيسان وصفد ويافا 22/4/1948، ثم توالى السقوط...

5 – في 12 نيسان/ أبريل 1948 تقرّ الجامعة العربية بزحف الجيوش العربية إلى فلسطين، واللجنة السياسية تؤكد أنّ الجيوش لن تتدخل قبل انسحاب بريطانيا المزمع في 15 أيار/ مايو، وكان الانتداب البريطاني على فلسطين ينتهي بنهاية يوم 14 أيار/ مايو 1948، وفي اليوم التالي أصبح إعلان قيام «دولة إسرائيل» ساري المفعول، ومباشرة بدأت الحرب بين الكيان الجديد والدول العربية المجاورة.

6 – المعارك في فلسطين بدأت في أيار/ مايو 1948 بعد الانتداب البريطاني على فلسطين وإعلان العصابات الصهيونية قيام «دولة إسرائيل» على المساحات الخاضعة لسيطرتها في فلسطين، وتدفقت الجيوش العربية في مصر وسورية والعراق وإمارة شرق الأردن على فلسطين، ونجحت القوات العربية في تحقيق انتصارات كبيرة.

وفي السادس عشر من أيار/ مايو 1948 اعترف رئيس الولايات المتحدة هاري ترومان بـ«دولة إسرائيل» ودخلت أول وحدة من القوات النظامية المصرية حدود فلسطين وهاجمت هذه القوات مستعمرتي كفار داروم ونيريم الصهيونيتين في النقب، كما عبرت ثلاثة ألوية تابعة للجيش الأردني نهر الأردن إلى فلسطين، واستعادت القوات النظامية اللبنانية قريتي المالكية وقدس على الحدود اللبنانية وحرّرتهما من عصابات الهاجاناة الصهيونية.

7 – استمرت المعارك على هذا النحو حتى تدخلت القوى الدولية وفرضت الهدنة الأولى من 11/6 إلى 8/7/1948، ثم اشتعلت المعارك لتعقد هدنة ثانية من 18/7 إلى 10/11/1948، ثم عاد القتال ليستمرّ حتى 7 كانون الثاني/ يناير 1949 موعد الهدنة الثالثة، وما بين هذه الهدن كانت «إسرائيل» تتسلح وتتسع وتتقوى والعرب يتفرّقون ويتراجعون لتنتهي الحرب بتوقيع مصر لاتفاق هدنة في 24 شباط/ فبراير 1949، تلاها لبنان 23 آذار/ مارس 1949، ثم الأردن في 3 نيسان/ أبريل 1949، فسورية 20 تموز/ يوليو 1949، ودائماً كانت مصر هي البادئة سواء بالحرب أو بالاستسلام وحتماً سيتبعها العرب حتى يومنا هذا (!).

***

أكبر نتائج الهزيمة المباشرة

● كان من نتائج هذه الحرب سهولة احتلال الصهاينة لأغلب مدن الشمال الفلسطيني مع اللد والرملة والنقب، الذي كان يشكل لوحده نصف مساحة فلسطين، وذلك نتيجة انكسار الجيوش العربية بعد الأشهر الستة الأولى من القتال، التي عانت فيها العصابات الصهيونية، ثم استطاعت أن تستعيد زمام المبادرة وتنتصر نتيجة التفرّق العربي وعدم التنسيق بين الجيوش، وعدم الاستعداد الجيّد للقتال وغلبة القرار السياسي على القرار العسكري وغيرها من الأسباب «الدروس» التي لم نستوعبها حتى يومنا هذا (2016) ولا زلنا نقع في ذات الأخطاء والخطايا!

● من النتائج المؤلمة أيضاً لهذه الحرب إجبار حوالى 800 ألف فلسطيني على الفرار والهجرة القسرية من ديارهم من أصل مليون ومائتين وتسعين ألف فلسطيني أي نحو 60% من أهل فلسطين، وذلك نتيجة ارتكاب الصهاينة 34 مذبحة مروّعة، أثرت سلباً على روحية الصمود الفلسطيني، وكان من النتائج الخطيرة لهذه الحرب المؤلمة سقوط 78% من أراضي فلسطين في أيدي الصهاينة، فضلاً عن دمار قرابة الـ400 قرية ومدينة مع تهويدها بالكامل.

***

● هذا ما جرى... والذي ينبغي أن يظلّ محفوراً في الذاكرة العربية، فهذه الحرب لا تزال مستمرة، ولم تنته بعد رغم مرور 68 عاماً، كلّ الشواهد والمؤامرات و(الداعشيات) «إسرائيلية» المنشأ والوظيفة وإرهابها من سورية إلى سيناء وليبيا، يؤكد ذلك، وفي المقابل الانتفاضات المستمرة للشعب الفلسطيني وآخرها انتفاضة السكاكين تؤكد ذلك، رغم انشغال العرب بـ«ثورات ربيعهم» التي نسيت فلسطين تماماً! ترى هل نقدر عربياً وإسلامياً على الفهم... ثم على المواجهة الجادّة؟ ذلكم هو السؤال!

E – mail : yafafr @ hotmail. com

مسيحيون... وعن سوريتنا مدافعون

■ سعدالله الخليل

على خطا معلولا وصدد وأخواتها من القرى التي دفعت فاتورة الدم غالياً، وبعد ارتكاب تنظيم «جبهة النصرة» مجزرة في قرية الزارة في ريف حماة، يسود القلق العارم على أن تواجه قرية تومين مصير من سبقها، حيث تتردّد الأنباء عن محاولة التنظيم اقتحام القرية التي تشهد حالات نزوح كبيرة.

القرية التي لا يتجاوز عدد سكانها 2600 نسمة شكلت ملجأ أمان للفارين من أهالي الرستن وغيرها من القرى المجاورة، واستضافت أكثر من مئة عائلة نازحة منهم حوالي 30 من أهالي الرستن، وتعرضت أكثر من مرة لاستهداف إرهابيي كتيبة الفاروق التي تسيطر على الرستن بالقذائف، ودفعت من دماء أبنائها شهداء وجرحى لتجد نفسها اليوم بين فكي كماشة الفاروق والنصرة وهما خياران أحلاهما مرّ.

في المأساة السورية تتشابه القصص والحكايات في الجوهر دم ودمار ومأساة بشرية وإن اختلف ابطالها، وفيما يوحد أنين الحاضر السوريين وتشتعل نيران الحنين إلى الماضي في عواطفهم، ثمة تجارب تتفرّد عن غيرها بحكم عوامل عدة، وربما تشبه تجربة تومين تجربة قرية صدد التي لم يجنبها الحياد في المعركة، ورفضها حمل السلاح خارج مؤسسات الدولة، أن تكتوي من نار الاستهداف المباشر مرتين وغير المباشر مرات عدة، فخلال السنوات الخمس ذاقت ما ذاقته أي بلدة سورية، وزفت بمواكب العز من أبنائها مدنيين وعسكريين شهداء على مذبح وطن أمّن أبنائه، بأن ذبيحة الدم قدر بقائهم على أرض كانت ومازالت وستبقى ملكاً لهم، وبأنّ بقاءهم على هذه الأرض ليس منة من أحد، ولا عطية من عطايا السياسة، ولا ناتج توافقات دولية، ولا مكرمة من مكارم أصحاب العطايا.

بعد أن تجاوز عمر الأزمة السورية السنوات الخمس، وبعد أن ذاقت لوعة الإرهاب أغلب المناطق السورية، وبالرغم من تبني أطراف عدة مسلحة ومدنية في مقلب المعارضة والموالاة خطاب طائفي، يصوّر استهداف التنظيمات المسلحة المناطق المسيحية لمسيحيتها، تثبت مجريات الحرب التي تدور في سورية سطحية هذا الطرح، حيث أدرك المسيحيون على امتداد انتشارهم في الجغرافية السورية بأنّ استهدافهم في صدد أو معلولا أو صيدنايا أو القنية في ريف إدلب وفي دير الزور والحسكة ودرعا، ليس إلا ضربا لوجودهم التاريخي الإنساني أولاً والسوري المشرقي ثانياً، دونما إنكار بأنّ الجانب الديني يضيف أوتارا لعزف أنغام مختلفة، تلقى صداها لدى المنظمات الدولية وعواصم القرار التي تطرب لخطاب كهذا.

عشية عيد الميلاد الماضي وعلى بعد كيلو مترات معدودة وضمن مرمى نيران تنظيم «داعش» الإرهابي، وقف البطريرك أفرام الثاني بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس، متفقداً وداعماً ومباركاً التشكيلات العسكرية ووحدات الدفاع الشعبي بفصائلها كافة الواقفة بوجه التنظيم، بعد مبايعة المجموعات المسلحة ووجهاء قرية مهين «داعش» وإعلانهم العزم على التمدّد باتجاه قرية صدد، بوابتهم إلى الأوتوستراد الدولي حمص دمشق وإلى القلمون الشرقي ومطار الشعيرات العسكري، فالنقاط الثلاث حساسة ولا تبعد عن صدد سوى بضعة كيلو مترات، حينها احتفل أبناء البلدة على حدودها مدافعين عن أرضهم واستقبل المدافعون عن القرية بابا نويل بأغنية «استنفار استنفار الليلة استنفار» ، على لحن الأغنية الشهيرة «ليلة عيد ليلة عيد» وتقبّلوا الهدايا رصاصاً وذخيرة، في المشهد وفي الظروف أيضاً عبر تدرّس، وردّ بالوقائع على اتهامات بالهروب من المواجهة في لحظة إحقاق الحق، وهي أفكار روّجتها دوائر استخباراتية تدرك خطورة ما تروّجه.

بالرغم من فاتورة الدم التي دفعها المسيحيون على الأرض السورية، والتي لا تقلّ عما دفعتها باقي المكونات السورية، وبالرغم من النزيف البشري الذي لم يوفر قرية سورية ولا مدينة بغضّ النظر عن انتمائها، ثمة من يسعى لترسيخ صورة خاطئة وترويج أفكار وافتعال ممارسات خلاصتها بأنّ عقول المسيحين وتفكيرهم في الخارج، مهما طال أمد وجودهم في المشرق العربي، وبأنّ قلوبهم لا تطمئن إلا بحزم حقائب الهجرة، وهو ما دفع جزء من المسيحيين لإعادة النظر بوجودهم المشرقي، وطرح تساؤلات من قبيل ماذا بقي لنا على هذه الأرض؟ وهل ما زلنا ملحها ونورها أم أنّ مستقبلنا في مكان ما وراء البحار البعيدة، وهذه الأرض هل بات لها أصحاب جدد أوْلى بها.

ما الذي يطلبه الآخر من المسيحيين كصك إثبات لانتمائهم لأرض عشقوها وآمنوا بها قبل إيمانهم بالمسيح؟ سؤال يسأله السوري المسيحي حين تشير أصابع الاتهام مشكّكة بانتمائه وولائه، وأيّ برهان أقوى من ثباته على هذه الأرض طوال هذه القرون، وحين يذكر الكتاب المقدس في عهده القديم وبأسفار العدد وحزقيال قرى كصدد وربلة فأيّ منة على أهلها وأيّ متاجرة عليهم بدروس باتت في قاموسهم من المنسيات!

لا يدّعي المسيحيون يوماً تفرّدهم بتاريخ ولا حضارة، بل يؤمنون بأنّ سورية كانت وما زالت وستبقى جبهة متقدّمة للدفاع عن المسيحية والاسلام والعروبة أمام الغرب، وشكلت منذ نشأتها مثالاً للتلاحم بين الحضارات والافكار الهلينيستينية والفارسية والسريانية والهندية، وهو ما انتج نهضة عربية اسلامية وولدت ثقافة سورية مشرقية متوسطية فريدة بعيدة عن التعصب الديني الأعمى، فكما أنّ جيوش الفتح العربي ضمّت جحافل من العرب المسيحيين من بني تغلب وكليب وإياد ومضر ممن حاربوا إلى جانب إخوانهم المسلمين، فقد وقف المسيحيون في المواجهة بين الإمبراطور السوري ليو الإيسوري في القسطنطينية عام 717 و«سليمان بن عبد الملك» الخليفة السوري لفتح القسطنطينية، ولم ينجروا وراء عصبية دينية عمياء ينجرّ اليها اليوم الألوف في المشرق.

النكبة.. مقدّماتها وحقائقها

■ رامز مصطفى

عندما صاغت الحركة الصهيونية رؤيتها في السيطرة على فلسطين، وضعت نصب أعينها أنّ إحدى الطرق إلى ذلك هي إنشاء تشكيلات عسكرية مهمتها الإستراتيجية تنفيذ اعتداءات متواصلة على القرى والمدن الفلسطينية، وارتكاب المجازر بحق سكانها الفلسطينيين، مثلت تلك المجازر في حجم تراكمها وما خلفته من ضحايا سقطوا شهداء على يد عصابات الهاغاناه وشتيرن والأرغون المقدّمات لما كانت تحضره الحركة الصهيونية بالتواطؤ مع بريطانيا قوة الانتداب على فلسطين آنذاك، بهدف طرد الشعب الفلسطيني من أرضه واغتصاب وطنه بقوة الحديد والنار والقتل والمجازر. وجاءت مجزرة دير ياسين في التاسع من نيسان العام 1948، والتي ذهب ضحيتها 278 شهيداً من الرجال والنساء والأطفال، أيّ على مسافة شهر وأسبوع من تاريخ الخامس عشر من أيار 1948 يوم النكبة الذي توشحت به فلسطين بأرضها وبشرها وشجرها وجبالها وسهولها ومآذنها وكنائسها بالسواد، وهو تاريخ لن يمحوه الزمن في تقادمه، ولا اتفاقات أخذت في لحظة تحكم بها من هم فقدوا إرادتهم الوطنية.

دير ياسين في موقعها الاستراتيجي من حيث وقوعها على مرتفع يطل مباشرة على مدينة القدس، شكل احتلالها النقلة والتحوّل الهامّ جداً من أجل احتلال المدينة. وبالتالي فإنّ تلك المجزرة وما تركته من آثار نفسية ومعنوية تجلّت في دبّ الخوف والرعب بين صفوف الفلسطينيين العزل من تكرارها في أماكن ومناطق فلسطينية أخرى.

هذا سيدفع الفلسطينيين وتحت هاجس البحث عن الملاذات الآمنة، إلى اللجوء إلى دول الجوار لفلسطين. وهذا ما كان، ففي الخامس عشر من أيار عام 1948، نفذت الجريمة الأشنع في التاريخ، حيث طُرد الشعب الفلسطيني من أرضه بقوة الاغتصاب والقتل الصهيوني، وتواطؤ الحكام والملوك والسلاطين والمجتمع الدولي، وفي مقدّمة كلّ هؤلاء دولة الانتداب البريطاني التي أعلنت عن انتهاء انتدابها على فلسطين في الرابع عشر من أيار 1948، أيّ قبل يوم واحد من جريمة العصر.

وإذا كانت تلك المجازر وعمليات القتل الممنهج والاستيلاء على القرى والمدن الفلسطينية والتي بلغ عددها 774 قرية ومدينة، بعد أن دمّروا وأحرقوا 531 قرية ومدينة فلسطينية، قد شكلت تلك المقدّمات التي وجد فيها الصهاينة وقادتهم من أمثال بن غوريون وبيغن واسحاق شامير الخ... الضرورة لإقامة كيانهم الغاصب. إلاّ إنه وبعد مرور 68 عاماً على اغتصاب فلسطين ونكبة شعبها، هناك جملة من الحقائق لا بدّ من التأكيد عليها، ويجب أن تمثل تلك الحقائق بالنسبة لجموع الشعب الفلسطيني وقواه ونخبه من أجل العمل على رواية فلسطينية تدحض الرواية الصهيونية القائمة على التزوير والتزييف. وأولها... التأكيد على الرفض الفلسطيني للرواية «الإسرائيلية» القائلة إنّ رفض الفلسطينيين لقرار التقسيم (181) في العام 1947، هو من ساهم في وقوع نكبتهم. على الرغم من الوثائق ومن قبلها الوقائع قد أثبتت أنّ هذه الرواية ليست صحيحة وتنطوي على قدر خطير من قلب سياقات النكبة ومقدّماتها.

كما أنّ هناك للأسف من صوّر الأمر على هذا النحو من خلفية انهزامية إنْ لم نقل أكثر، والقول لو أننا قبلنا بقرار التقسيم لما وصلنا إلى اتفاقات «كامب ديفيد»، ولو قبلنا بـ«كامب ديفيد» لم وصلنا إلى «اتفاقات أوسلو». ومن يعلم أو يدري من سيخرج علينا لاحقاً ليقول لنا لو أننا قبلنا بـ«اتفاقات أوسلو» لما وصلنا إلى «أوسلو 2»...

أما ثانيها... فما زالت القضية حية على الرغم من جميع المخاطر والتحديات التي تواجهها حالياً وتهدّدها بالتصفية على وقع ما تشهده المنطقة من أحداث جدُّ خطيرة. ومسؤوليتنا تفترض إبقاءها حاضرة وهذا ما عملت وتعمل عليه الانتفاضة الفلسطينية الثالثة، على الرغم من حالة الانقسام واستمراره من جهة، وحالة التخلي العربي والإسلامي في الغالبية العظمى من نظامها الرسمي وحتى الشعبي الذي أُخذ إلى حدوده القطرية، وتمّ دفعه ليكون حبيس تلك الحدود بسبب الأحداث التي تشهدها الكثير من دول المنطقة.

وثالثها... صحيح أننا لم نحقق الانتصار على العدو الصهيوني، ولكن الصحيح أيضاً أنّ عدونا لم ينتصر علينا. والصراع لا يزال مستمرّاً بيننا وبين الغاصب الصهيوني. ولا يمكن أن ينتهي هذا الصراع إلاّ بحسمه مع الكيان الغاصب مهما طال الزمن.

وأما رابعها... وإنْ كانت النكبة بتداعياتها وآثارها وما ترتب عليها قد مثلت بالنسبة للفلسطينيين الذروة في المأساة، فهي أيضاً أيّ النكبة، قد رسخت حقيقة أنّ شعبنا عصيّ على الموت والانكسار، وعجزت كلّ المصائب والمجازر على دفعه بعيداً عن قضيته الوطنية وتمسكه بحقوقه التاريخية.

وخامس الحقائق.. أنّ فلسطين وقضيتها ستبقى الداتا الجامعة في العقل والوجدان العربي والإسلامي. وهي أيضاً دائمة الحضور عند الفلسطينيين بكلّ أجيالهم الراحلة والباقية والقادمة، لأنها أصبحت جزءاً من خارطتهم الجينية.

بعد 68 عاماً من عمر النكبة كبارنا وإنْ فارقنا الكثيرون منهم، إلاّ أنّ صغارنا لم ينسوا ولن ينسوا على الرغم من التضحيات الجسام، والنكبات المتجدّدة التي يكابد منها شعبنا. حيث الانقسام البغيض وما تركه من آثار سياسية ووطنية كارثية، وتاليه حالة التخلي المتبدية في الواقعين العربي والإسلامي، الذي جعل من قضية فلسطين عرضة للمزيد من الاستفراد مقدّمة لتصفيتها.

ما بعد تدمر...

■ شهناز صبحي فاكوش

انتصارات ينتظرها شرفاء العالم وأحراره، ليشاركوا فرحتها مع سورية الصامدة آخر القلاع في وجه الكيان الصهيوني، والامبريالية العالمية والرجعية العربية.

الإمبريالية، الرجعية، مصطلحات ظننّا أنها اندثرت، لكنها تعود لتطفو على سطح الحياة السياسية؛ مع بدايات القرن الحادي والعشرين، والالتصاق بأدواتها البشرية، لتحقيق مآرب أعداء الأمة العربية وعلى رأسهم الكيان الغاصب لفلسطين.

متآمرون مخرّبون تحالفوا ضدّ سورية، أهدافهم العدوانية تحطيم الأمة والحفاظ على كيان سرطاني أسموه «إسرائيل» يسعى حقيقة لدولة يهودية، مترامية على الأراضي العربية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

الرجعية العربية المتمثلة بحكامها، تقوم بدورها التفتيتي لأقطار سايكس بيكو بجدارة متناهية، تستحق عليها أرفع الأوسمة في الخيانة والعمالة، ممهورة بشعاراتها الزائفة.

تحرّرت تدمر وعُقِدَ العزم للتوجه إلى دير الزور والرقة، كان تحرير تدمر عيداً للوطن بكليته وشرفاء العالم، الذين تهيّبوا صمود ومقاومة أبناء وطنٍ اسمه سورية.

خلّدَ انتصار تدمر رجلاً قضى حباً فيها وحفاظاً عليها، خالد الأسعد العالمي الصيت، نسغ زنوبيا، عاشق تدمر حضارة وعراقة، لا حجارة كما حاول السفهاء تصويرها، عراقة غفت في حضن التاريخ قروناً، عاشها خالد الأسعد محتلاً ذاكرة عشاقها.

انتصار تدمر توّجهُ شباب الوطن، والأصدقاء، صدحت الأنغام في سمائها، والحناجر تحية للجيش العربي السوري وشهدائه وحلفائه.

حاولت الصحف الأميركية «واشنطن بوست» و«نيويورك تايمز» وغيرهما، تقزيم النصر ذاكرة إياه بامتعاض وتشكيك، فتحدّثتا بقلم واحد ونفس متململ، وكأنه زعم وليس حقيقة.

متجاهلين العَلَمَ العربي السوري شامخاً على قلعتها المحرّرة، يحدو من علٍ نامي قريرة العين زنوبيا، وارقد بسلام خالد؛ يا من سَعدَتْ بسرّ صمتك آثار بلادي..

علم رفعه الحضور بأيديهم ليعلو الرؤوس على مدرّجَات مسرحها التاريخي. تزهو ألوانه ببريق عينيه الخضراوين نجمتين أضاءتا الليل، وعانقتا شمس سماء تدمر.

يعيب المغرضون علينا فرحة انتصار تدمر، والحرب لما تنته بعد... هو نصر ضمن انتصارات هنا وهناك، على مساحة الوطن، لكن نكهته أنّ عشاق التاريخ والحضارة في العالم بأسره، انتظروا معنا هذا النصر. فحق لنا الاحتفال.

انتصرت تدمر وجنيف تفتح طاولتها، والمعارضة المنحرفة الخرقة تصدر أوامرها لضرب المدن، غير خجلة من كونها دمى تتحرك خيوطها بيد غزّالة صهيونية. تنفخ في عقولهم وهْم أنهم أهل السلطة المقبلة. بينما هم خدم في المطبخ الصهيوني.

قضّ مضجعهم ومشغليهم انتصار تدمر، خاصة بعد أن عقد الجيش العزم إلى دير الزور، جيشنا الغالي أساس منظومة النصر التي يرأسها القائد بشار الأسد، ويحتضنها الشعب الصامد، الذي حيّر العالم بقدرة تحمّله، ومؤازرة حلفاء أوفياء...

تباً لهم... جاء ردّ فعلهم سفاحاً، فصبّوا جام حقدهم على حلب ثم الزارة فدير الزور ثم القامشلي، ضربت المدن بأمر الصهيوني على لسان الثلاث الذين أسقطوا نسبهم لهذا الوطن بتصدير قرار قتل أهله، بلا حياء؛ وببلاهة المعتوهين فاقدي الأهلية.

على مسرح العبثية اللاأخلاقية. يؤدّي المنحرفون أدوارهم الهزلية القميئة، عقول فارغة إلا من نفث الكوبرا الصهيونية، فلم يكتب تاريخ سورية أنّ العملاء استطاعوا التمكّن من السلطة فيها،

يحاولون خلط الأوراق وكسب شيء على الأرض قبل فيينا التي بشر بها قاتل الفيتناميين، كي تسبق جنيف، لم يملّ أعداء سورية من ببغاوية أنّ الحرب على سورية طائفية، لم ولن يفلحوا في ما يصبون إليه.

غباؤهم عقد قرانه على خبثهم فكشفت عورتهم، بضرب المدن مؤخراً، ظناً منهم أنّ خديعتهم انطلت على الشعب السوري، كما تزييف الحقائق إعلامياً أمام العالم بأنّ ما يحدث في سورية عنصرية طائفية، خلال حربهم الإعلامية المسعورة ضدّ سورية.

هم يتحركون ضمن شبكة أوهى من خيوط العنكبوت، نسجها سلطانهم العثماني وبني قريظة بدعم أبناء العمّ سام، ومال ملوك الرمال، تواجهها سورية، بهمّة جيشها العظيم وصمود شعبها، ليتحطم حلم كلّ من له مآرب حقد على السوريين.

سورية تبني جسور المحبة مع الأصدقاء، أما أعداؤها فها هم يتلاشون تباعاً وسينتهون كما انتهى بوش والحَمَدَيْن وساركوزي وسلطان والبقية تتبع...

سورية باقية وهم يتبدّدون، باقية بكلّ مقوماتها... حريتها قراراتها خياراتها، وعلى شاطئ المجد سترسو سفنها الفينيقية، وعلى ضفاف الفرات ستطلق الخزامى والبيلسان أريجهما، وتعود أسراب القطا لباديتها، كما النوارس للمتوسط...